أزمة مصر أم «بنتين منها»؟

أعمق الفن وأعذبه هو الذى ينبثق من قلب الأزمات الكبرى، فيعبر عن آلام الناس وعذاباتهم، وبالرغم من أن الأزمة التى تواجه مصر الآن تكفى لخلق إبداع يفوق ما أنتجته محنة أمريكا اللاتينية فى مجال الأدب، فما أقله حتى اليوم هذا الإبداع الذى يعتبر فيلم «بنتين من مصر» آخر تجلياته فى مجال الفن وربما أبدعها.

ففى هذا الفيلم شديد الكثافة والعمق، يبدع محمد أمين فى تكثيف أزمة مصر - التى تراكمت على مدى أكثر من ثلاثة عقود- فى أقل من ساعتين، وهو يدخل فى عمق هذه الأزمة التى يختزلها فى حالة بنتين متميزتين كان فى إمكان كل منهما أن تقدم لمصر الكثير، ولكن العنوسة اعتصرتهما، فبدت كل منهما وكأنها هى مصر التى صارت بلا أمل فى الغد وبلا أفق مفتوح على المستقبل القريب.

وغياب الأمل هو الذى يربط ظروفهما بحالات يقدمها الفيلم لشبان يغرقون فى اليأس، لعدم وجود العمل الذى يحققون فيه ذواتهم، ويسدون من خلاله حاجاتهم، وحالة شاب يجد عملاً ولكنه يفزع من فكرة الزواج وتكوين أسرة خوفاً عليها من أيد ثقيلة يمكن أن تبطش بها فى أى لحظة، ولأنها أزمة مستحكمة حلقاتها، فلا مهرب منها حيث الهجرة أيضا بعيدة المنال.

فالفيلم، إذن، ليس عن البنتين وإنما عن مصر المكبوتة المحجوز تقدمها، والضائعة أحلامها، والحوار فيه يمزج اللغة السينمائية الفنية بأخرى مباشرة تعيد المشاهد إلى واقعه المؤلم، ولكن بدون الوقوع فى فخ النزعة

الخطابية مثل: (البلد اتحط على منحدر نازل) و(انتى يشرفك تنتمى للعفن اللى إحنا عايشين فيه؟).

وهذه، وغيرها، عبارات يرددها، أو مثلها، كثير من المصريين فى كل يوم.

وهكذا عبر الفيلم عن قضية وطن وأزمته من خلال قصة بنتين هما محور أحداثه وعدد من الشباب تكمل أدوارهم الصورة الموحية التى يرسمها لواقع يئن فيه عدد هائل من الشابات والشبان تمكَّن اليأس منهم ودهسهم الألم، الذى لا يمكن لمشاهد ينتمى حقا إلى هذا الوطن إلا أن يشعر به.

فيا له من تعبير مؤلم فعلا، ولكنه يفيض بالنبل ويلمس مواضع الوجع والحزن، وفيلم هذا شأنه لا يسىء إلى مصر، بل ينبه إلى فرط ما لحق بشعبها من إساءات عبر عمل فنى مبدع، غير أنه بدلاً من الاحتفاء بمن أبدعوا هذا الفن، أطلق من نشروا الحزن فى البلاد بعض أتباعهم، أو ربما انطلق هؤلاء طواعية وتزلفا، لاتهام الفيلم بالإساءة إلى مصر.

وبالرغم من أن هذا الاتهام ليس جديداً، فقد أظهر مدى كراهيتهم الإبداع الذى يعبر عن حدة أزمة يظنون أن فى الإمكان إخفاء معالمها، فالاتهام بالإساءة إلى مصر يقترن هذه المرة بتلميحات إلى شبح الأصولية بسبب وجود الآية القرآنية الخاصة بالحكم بما أنزل الله ضمن الحوار، بالرغم من أنها أتت فى سياق البحث عن العدل المفقود وليس فى إطار سياسى.

والحق أن «بنتين من مصر» لا يسىء إلى الوطن وإنما يكشف إساءات من أشبعوه ألما وحزنا ثم استكثروا على بعض المبدعين من أبنائه أن يبدعوا فنا راقيا بمقدار ما هو مؤلم.